ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق. وفى كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع، وأنه ثناء بحق لا بباطل.

ومدخل الصدق ومخرج الصدق وهو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامنا على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلا فى أمر وخارجا فى أمر، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق. والله المستعان.

* * * * * * *

الباب الثانى والعشرون
فى عدد الجنات وأنها نوعان: جنتان من ذهب، وجنتان من فضة

الجنة: اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهى جنات كثيرة جدا، كما روى البخارى فى صحيحه[1] عن أنس بن مالك: أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة ابن سراقة: أتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله ألا تحدثنى عن حارثة- وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب - فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء؟.

قال: «**يا أم حارثة، إنها جنان فى الجنة، وإن ابنك أصابه الفردوس الأعلى**».

وفى الصحيحين[2] من حديث أبى موسى الأشعرى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن**» وقد قال تعالى:{**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**}[3] فذكرهما ثم قال:{**وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ**}[4] فهذه أربع قد اختلف فى قوله {**وَمِن دُونِهِمَا**} هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما؟ على قولين.

فقالت طائفة: من دونهما أى أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنى من دونهما تحتهما. قالوا: وهذا المنقول فى لغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا، أى دونه فى المنزلة. كما قال بعضهم لمن بالغ فى مدحه: أنا دون ما

---

(1) رواه البخارى فى الجهاد: ب(14): حديث (2809).
(2) رواه البخارى فى التوحيد: ب(24): حديث (7444)، ومسلم فى الإيمان: ب(8): حديث (296).
(3) آية (46) سورة الرحمن.
(4) آية (62) سورة الرحمن.

تقول فوق ما فى نفسك، وفى الصحاح[1] دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية، ثم قال: ويقال هذا دون هذا أى أقرب منه .

والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه: أحدهما: قوله:{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}[2] وفيه قولان:

أحدهما: أنه جمع فنن، وهو الغصن. والثانى: أنه جمع فنّ وهو الصنف أى ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك فى اللتين بعدهما.

الثانى: قوله:{فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}[3] وفى الأخريين:{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}[4] والنضاخة: هى الفوارة، والجارية السارحة، وهى أحسن من الفوارة، فإنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال:{فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}[5]، وفى الأخريين:{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}[6]، ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل، واختلف فى هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان.

فقالت طائفة: الزوجان الرطب واليابس الذى لا يقصر فى فضله وجودته عن الرطب، وهو ممتع به كما يتمتع باليابس، وفيه نظر لا يخفى.

وقالت طائفة: الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب.

وقالت طائفة: نوعان ولم تزد، الظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر، وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}[7] وهذا تنبيه عن فضل الظهائر وخطرها وفى الأخريين قال:{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}[8] وفسر الرفرف بالمحابس والبسط، وفُسّرَ بالفرش، وفُسّر بالمحابس فوقها. وعلى كل قول فلم يصفه بما

---

(1) كتاب : تاج اللغة وصحاح العربية . مؤلفه : إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أبو النصر . لغوي . أديب . توفي سنه 393هـ . وقيل : في حدود 400هـ معجم المؤلفين : 362/1 .

(2) آية (48) سورة الرحمن.

(3) آية (50) سورة الرحمن.

(4) آية (66) سورة الرحمن.

(5) آية (52) سورة الرحمن.

(6) آية (68) سورة الرحمن.

(7) آية (54) سورة الرحمن.

(8) آية (76) سورة الرحمن.

3 وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال:{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك فى الأخريين.

السادس: أنه قال:{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}[1] أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصرهن لطرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال فى الأخريين:{حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}[2] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان [3] فى صفاء اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك فى التى بعدها.

الثامن: أنه قال - سبحانه وتعالى - فى الجنتين الأوليين:{هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ}[4] وهذا يقتضى أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه.

ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتى المقربين ثم ذكر جنتى أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال:{وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}[5] والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهرى.

فإن قيل: فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟.

قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما.

فإن قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما

---

(1) آية (56) سورة الرحمن.
(2) آية (72) سورة الرحمن.
(3) في قوله تعالى : {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن : 58].
(4) آية (60) سورة الرحمن.
(5) آية (62) سورة الرحمن.

البستانان؟.

قيل: هذا فيه قولان للمفسرين، ورجح القول الثانى بوجهين: أحدهما: من جهة النقل. والثانى: من جهة المعنى.

فأما الذى من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هما بستانان فى رياض الجنة**» وأما الذى من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر. والثانية: جزاء اجتناب المحارم.

فإن قيل: فكيف قال فى ذكر النساء{فِيهِنَّ} فى الموضعين، ولما ذكر غيرهن قال{فِيهِمَا}؟

قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها:{فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} ثم أعاده فى الآخريين بهذا اللفظ، ليتشاكل اللفظ والمعنى. والله أعلم.

* * * * * * *

الباب الثالث والعشرون
فىخلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان بيده وغرسها تفضيلا لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب - تعالى - من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده، فهى سيدة الجنان، والله - سبحانه وتعالى - يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل، ومن البشر محمدا ﷺ، ومن السماوات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر المحرم، ومن الليالى ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلاة، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى:{يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ}[1].

وقال الطبرانى فى معجمه: حدثنا مطلب بن شعيب الأزدى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنى الليث. قال الطبرانى، وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصارى عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل الله – تعالى – فى آخر ثلاث ساعات بقين من الليل، فيظر الله فى الساعة الأولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر فى الساعة الثانية فى جنة عدن وهى مسكنه الذى يسكن فيه، ولا يكون معه فيها**

---

(1) آية (68) سورة القصص.